في حدائق العرب

الوفاء

خرج النعمان بن المنذر يتصيد على فرسهِ اليحموم ، فاجراه على أثر حمار وحش ، فذهب بهِ الفرس في الارض ولم يقدر على رده . وانفرد عن أصحابه وأخذتهُ السماء بالمطر فطلب ملجأ يتقي بهِ حتى دُفع الى خباء واذا فيهِ رجل من طيّ يقال له حنظلة بن أبي عفراء ومعهُ امرأة له . فقال النعمان هل من مأوى — قال حنظلة : نعم . وخرج اليهِ وأنزله وهو لا يعرفهُ . ولم يكن للطائي غير شاة ، فقال لامرأتهِ : ارى رجلاً ذا هيئة وما أخلقهُ ان يكون شريفاً خطيراً فماذا تقريه ؟ — قالت : عندي شيء من الدقيق ، فاذبح الشاة وأنا اصنع الدقيق خبزاً . فقام الرجل الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها واتخذ من لحمها مضيرة ، فاطعمهُ وسقاه من لبنهـا ، واحتال له بشراب فسقاه . وبات النعمان عنده تلك الليلة . فلما أصبح ، لبس ثيابهُ وركب فرسهُ ثم قال : يا أخا طي أنا الملك النعمان فاطلب ثوابك — قال أفعل ان شاء الله . ثم لحقتهُ الخيل فمضى نحو الحيرة

ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابتهُ نكبة وساءت حاله فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسنَ اليك . فاقبل حتى انتهى الى الحيرة

وكان النعمان قد سكر في بعض الايام ولهُ نديمان يقال لاحدهما خالد ابن المضلّل وللآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فامر بقتلهما . ولما صحا سأل عنهما فأُخبر بخبرهما فحزن عليهما حزناً عظيماً لأنهُ كان يحبهما محبة شديدة

وأمر بدفنهما وبنى فوقهما بناءين طويلين يقال لهما الغَرِيَّان وجعل لنفسهُ كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم يجلس فيهما بين الغريَّين. فكان يكرم من وفد عليهِ في يوم النعيم ويقتل من وفد عليهِ في يوم البؤس . ولما وفد عليهِ حنظلة وافق وفده يوم البؤس . فلما نظر اليهِ النعمان ساءه وفوده في ذلك اليوم وقال لهُ : يا حنظلة هلاَّ أتيتَ في غير هذا اليوم ؟ — فقال أبيتَ اللعن لم يكن لي علم بما أنت فيهِ — فقال: لو سنح لي في هذا اليوم قابوس لم اجد بدًّا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتولٌ لا محالة — قال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي — فقال النعمان : لا سبيل الى غير ذلك — قال : ان كان لا بدَّ منهُ فاجّلني حتى اعود الى أهلي فأوصي اليهم وأقضي ما عليّ ثم أنصرف اليك — . قال : فأقم لك كفيلاً — قال ، فالتفت الطائي الى شريك بن عمرو بن قيس الشيباني وكان يكنى أبا الحوفزان وهو صاحب الردافة فقال :

يا شريكاً يا ابنَ عمرو هلْ من الموت محاله
يا أخا كل مصابٍ يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك الـ ـيوم عن شيخٍ كفاله
ابن شيبان كريم أنعم الرحمن باله

فابى شريك ان يكفله . فوثب اليهِ قراد بن أجدع الكلبي وقال للنعمان : أبيت اللعن عليَّ ضمانه . فرضي النعمان بذلك وأمر للطائي بخمس مائة ناقة . فانصرف الطائي وقد جعل الأجل حولاً كاملاً من ذلك اليوم الى مثله من القابل . فلما حال الحول وقد بقي من الأجل يوم واحد ، قال

النعمان لقراد : ما أراك الاَّ هالكاً غداً فقال قراد :

فان يكُ صدرُ هذا اليوم ولّى　　فان غداً لناظرهِ قريبُ

فذهب قوله مثلاً . ولما أصبح النعمان ركب كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأمر بقتل قراد . فقال لهُ وزراؤه : ليس لك ان تقتله حتى يستوفي يومهُ . فتركه النعمان وهو يشتهي ان يقتله ليسلم الطائي . فلما كادت الشمس تغيب وقراد قائم مجرّد في ازارٍ على النطع والسياف الى جانبهِ رُفع له شخص من بعيد . وكان النعمان قد أمر بقتل قراد ، فقيل له : ليس لك ان تقتله حتى يتبين الشخص . فكفَّ عنهُ حتى دنا واذا هو الطائي . فلما نظر اليهِ النعمان ، قال : ما الذي جاء بك وقد أفلتَّ من القتل قال : الوفاء — قال : وما دعاك الى الوفاء ! — قال: ديني . — قال : وما دينك ؟ — قال : النصرانيـة . — قال : فاعرضها عليَّ . فعرضها ، فتنصر النعمان وأهل الحيرة جميعاً وكان قبل ذلك على دين العرب . وترك تلك السُنَّة من ذلك اليوم وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائي وقال : ما أدري ايكما اكرم واوفى . أهذا الذي نجا من السيف فعاد اليهِ أم هذا الذي ضمنهُ . وأنا لا اكون ألأمَ الثلثة

وقد أخذ المرحوم الشيخ خليل اليازجي هذه الحادثة وبنى عليها روايةً تمثيلية شعرية عنوانها « المروءة والوفاء »

وألف في هذا الموضوع ايضاً حضرة الاديب ميشال افندي سرسق رواية تمثيلية فرنسوية العبارة مثلت في باريس وبيروت منذ بضع سنوات وعنوانها

Le Serment d'un Arabe

خطاب

ألقتهُ الآنسة الاديبة هدى كيورك في « السوق الخيرية » التي أقيمت في المشغل النسائي الذي أنشأتهُ الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك :

نعم ان عطف القلب مجدٍ ونافعٌ ولكن عطف الكفّ بالبذل أنفع

سلامٌ على جمهور عطفَ قلباً وكفاً ، سلام على كرام دفعتهم حماسة الشرف ، وحرّكتهم رقة الانسانية الى مثل هذا الاجتماع ، سلام لوجوهٍ باسمة ، وتحية لنفوسٍ آنسة ، أتت تفتح ابواب المساعدة ، وتمهد سبل السعادة لأخواتٍ بائسات بتنَ زمناً طويلاً يقرعنَ أبواب ضمائرنا طالباتٍ رحمة واغاثة . فنعم الاجابة اجابتكم اياهنّ اليوم في هذا المجتمع الخيري ، نعم القلوب الرقيقة ، ونعم الأيادي الكريمة

سيداتي وسادتي ، قد احتفلنا في السنة الماضية بافتتاح المشغل الخيري وكنا نعلّل النفس بنجاحه واتساعه . ومع ذلك كنا نخشى ان تنتابهُ يد النسيان ، وتسدل عليهِ غشاءً كثيفاً ككثير من المشاريع التي تنشأ في الشرق بين الرياحين والأزهار ، ولا تلبث ان تختنق بين شوك التخاذل والتقصير

غير ان هذا المشروع قد نجا بعون الله وقد رأينا تلك الغرسة الضئيلة التي زرعت بالأمس شجرةً باسقة بفضل ما بذل في انمائها من الهمة الشماء والتفاني المتواصل . وان اجتماع هذا اليوم لبرهان ساطع على ما للطائفة من الميل لفعل الخير والبذل في سبيل الاحسان

نعم أيها السادة الأفاضل ، ان الطائفة على العموم قد ساعدت هذا المشروع بكل قواها . فراعيها الجليل ببركاته وارشاده ، وأغنياؤها ببذلهم

وسخائهم . وعقلاؤها بافكارهم وآرائهم ، وأعضاء جمعيتها الخيرية برقابتهم ونشاطهم وتذليلهم أشد الصعاب ليُسَيّروا المشروع في الطريق القويم . هنا هي النهضة الحقيقية . وهذه هي الجمعيات الخيرية التي يقوم بها نجاح الامة وبمساعدتها اتمام فروض مقدسة

وقد اتقدت تلك الروح الحميدة في صدور السيدات بكل ما لها من الحماسة والاقدام ، وجعلت ذلك الجنس الضعيف جيشاً باسلاً يتغلب على الصعوبات ويقاوم كل معارض في سبيل الخير ، ويفتح الجيوب بكل ما لديه من أنواع الرقة والتأثير . فلذا رأيتم جمعيةً لأوانس متحليات برداء الطهر والفضيلة تبرز لنا من الاشغال اليدوية ما نعده كنوزاً ثمينة إذ حاكتهُ أيدي عذارى متقدات غيرة متفانيات حباً في سبيل منفعة البائسة وانتشالها من وهدة الفاقة . وقد اتفقت تلك القلوب الشفيقة وتعاضدت فتألفت جمعية خيرية قضت سنة كاملة في استخراج الفوائد والاشغال ، لتحيي هذه الحفلة في هذا اليوم ، وتدعونا للاشتراك فيهِ تنشيطاً لها ومساعدة

فنشطوا وساعدوا وافتحوا أيديكم الكريمة ، وجودوا على هؤلاء الاخوات موضوع جهاد الأنفس الابية ، جودوا بما يُطَيّبُ عيشهنّ لأهنئهنّ بحضوركم وأناديهنّ :

ثقنَ أيتها العزيزات واعلمنَ بانكنّ أيدٍ عاملة ضمن دائرة الجمعية بل دائرة الرحمة بين آباء وأمهات واخوان واخوات جلّ غايتهم صيانتكنّ وضمان مستقبلكنّ فافرحنَ اذاً وصفقنَ واصرخنَ معي : بشرى الايتام فقد صاتتهم يدُ الاحسان . . . .

هدى اسكندر كيورك